مطرانية الأقباط الأرثوذكس
بالفيوم
دراسات وتأملات روحية
(4)

الذات

أساس سقوط الإنسان

إعداد

الأنبا أبرآم

أسقف الفيوم

مقدمة

الأنا Ego **هى أول خطية عرفها العالم**، وقع فيها الشيطان، قبل أن يقع فيها الإنسان. وكما سقط الشيطان عن طريق الذات، هكذا سقط الإنسان حينما بعدت ذاته عن الله!! وخضع لإغراء الحية التى قالت:" **تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّر**" (تك3 :5). محبة الذات هى التى يريد فيها الإنسان أن يأخذ ولا يعطى. ولامانع لديه من أن يصطدم بكل من يراه منافساً لهذه الذات، أو معترضاً لطريقها. لذلك فإن إنكار الذات هو أكبر علاج للأنا. إن ذاتك هى التى تحاربك أكثر مما يحاربك الشيطان. بل إن الشيطان حينما يحاربك، يحاربك أولاً بهذه الذات، فإن انتصرت على ذاتك سوف تنتصر بلا شك على باقى الخطايا. وكما قال القديس يوحنا ذهبى الفم:" لا يستطيع أحد أن يضر إنساناً، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه ". حاول إذن أن تكسب القوة الإلهية بعدم اعتمادك على ذاتك، بل:" **تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ**."(أم 3: 5).

هذا الكتاب هو عبارة عن تأملات فى الذات التى تسبب سقوط الإنسان، القاها أبونا صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا أبرآم أسقف الفيوم، ورئيس دير الملاك غبريال بجبل النقلون، فى الاجتماع العام الأسبوعى وبعض مؤتمرا ت الخدام والخادمات. وهو ينشر ضمن مجموعات كتابات، قامت لجنة النشر بمطرانية الفيوم – من الآباء الكهنة والشمامسة والمكرسات والأخوات – بتفريغ الشرائط وإعداد المادة العلمية للنشر، وذلك بمناسبة احتفال إيبارشية الفيوم باليوبيل الفضى لسيامة أبينا نيافة الحبر الجليل الأنبا ابرآم أسقفاً لإيبارشية الفيوم (2 يونيه 1985م – 2 يونيه 2010م). طالبين من الرب أن يمنح نيافته موفور الصحة والقوة والنعمة فى خدمته المباركة. كما تشكر لجنة النشر كل من شارك فى إعداد هذا العمل، طالبين من الرب أن يعوض الجميع أجراً سمائياً.

2 يونية 2010م **لجنة النشر**

25بشنس 1726ش

الأنا Ego **هى أول خطية عرفها العالم**، وقع فيها الشيطان، قبل أن يقع فيها الإنسان. هذا الشيطان كان كاروباً مظللاً:" **مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ**"(حز28 :12،14). الذى سقط حينما قال:" **أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاِجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشِّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ**" (أش14: 13ــ14).

كما سقط الشيطان عن طريق الذات، هكذا سقط الإنسان حينما بعدت ذاته عن الله!! وخضع لإغراء الحية التى قالت:" **تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّر**" (تك3 :5). وهكذا بعدت الذات عن الله، بالمعصية من جهة، وباشتهائها أن تكون مثله من جهة أخرى.

أصعب ما يقع فيه الإنسان أن يحب ذاته محبة خاطئة. فيريد أن يكبر فى عينى نفسه أو يصير باراً فى عينى نفسه!. لا يوجد إنسان يكره نفسه. حتى إن الله حينما

أمر بمحبة القريب، قال:" تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ ." (مت 22 :39). والمحبة الحقيقية للنفس هى أن تلصقها بالله." أَمَّا أَنَا فَالاِقْتِرَابُ إِلَى اللهِ حَسَنٌ لِي" (مز 73 : 28). وتصل هذه المحبة إلى حد بذل النفس لأجل الله، ولأجل القريب أيضاً. أما المحبة الخاطئة فهى لون من الأنانية، فيها تقود (الأنا) Ego إلى الأنانيه Egoisum. فيتمركز الإنسان حول ذاته، وكل ما يتعلق بها، كرامته ومركزه، وماله، وتفوقه على الآخرين، بل وسيطرته عليهم.

محبة الذات هى التى يريد فيها الإنسان أن يأخذ ولا يعطى. ولامانع لديه من أن يصطدم بكل من يراه منافساً لهذه الذات، أو معترضاً لطريقها. لقد وقع كثيرون فى محبة الذات وإشباعها فضيعتهم أو كادت تضيعهم. **مثال ذلك** سليمان الذى استجاب لشهوات الذات. فقال:" فَعَظَّمْتُ عَمَلِي. بَنَيْتُ لِنَفْسِي بُيُوتاً غَرَسْتُ لِنَفْسِي كُرُوماً.عَمِلْتُ لِنَفْسِي جَنَّاتٍ وَفَرَادِيسَ ...وعَمِلْتُ لِنَفْسِي بِرَكَ مِيَاهٍ لِتُسْقَى بِهَا الْمَغَارِسُ الْمُنْبَتَةُ الشَّجَرَ... جَمَعْتُ لِنَفْسِي أَيْضاً فِضَّةً وَذَهَباً وَخُصُوصِيَّاتِ

الْمُلُوكِ وَالْبُلْدَانِ. اتَّخَذْتُ لِنَفْسِي مُغَنِّينَ وَمُغَنِّيَاتٍ وَتَنَعُّمَاتِ بَنِي الْبَشَرِ سَيِّدَةً وَسَيِّدَاتٍ. فَعَظُمْتُ وَازْدَدْتُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلِي فِي أُورُشَلِيمَ... مَهْمَا اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا"(جا2 :4-10). **<u>فماذا كانت النتيجة؟</u>**

إن شهوات هذه الذات، كادت تضيع سليمان، فى ذلك يقول الكتاب المقدس:" وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلَهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ ... واستحق أن يعاقبه الرب"(1مل 11 :4ــ 6).

كذلك يونان النبى فى محبته لذاته ولكرامة كلمته، فضل أن تهلك مائة وعشرون ألف نسمة، عن أن تسقط كلمته!!، مغتاظاً من مراحم الله، الذى رجع عن حمو غضبه، وقبل توبة أهل نينوى. لذلك قَالَ اللَّهُ لِيُونَانَ:«هَلِ اغْتَظْتَ

بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟» فَقَالَ: «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ . (يون4: 9ــ10).

هكذا كانت شهوة آخاب الملك لامتلاك كرم نابوت اليزرعيلى(1 مل21). لم يكفه كل ما كان يملكه كملك، إنما اشتهى كرم نابوت. وساعدته زوجته الملكة إيزابل على تحقيق شهوة الذات. فاستحق عقوبة الله على فم إيليا النبى قائلاً له:" فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَحَسَتْ فِيهِ الْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْحَسُ الْكِلاَبُ دَمَكَ أَنْتَ أَيْضاً"(1مل21:19).

حرب (الأنا) ينبغى أن نعالج نتائجها منذ الطفوله

حينما يقول الطفل (أنا)، ويود أن يملك كل شىء يمكن أن تمتد إليه يده، وقد يغار من أخيه أو أخته، ويود أن

يخطف منهما ما يعطى لهما. بل أيضاً يغار من كل كلمة مديح توجه إليهما ينبغى أن ندرب الطفل منذ نعومة أظافره على الحب وعلى العطاء، ونعطيه ما يعطيه للغير، ونشجعه على العطاء.

إن تلاميذ المسيح ورسله القديسين أنفسهم قد حاربتهم (الأنا)، فكانوا يتسألون فيما بينهم، من هو الأول فيهم؟!. فوبخهم الرب قائلاً: " لا يكن فيكم هذا الفكر فمن أراد فيكم أن يكون سيداً فليكن عبداً ومن أراد أن يكون أولاً فليكن آخر الكل".

كما نجد أن يوحنا المعمدان (مت 11) كان أكثر إنسان تخلص من الذات. ففى علاقته مع المسيح عندما تقدم إليه الرب للعماد قال له:" **أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» (مت 3 : 14).** ولما رأى الجموع يتبعون السيد قال:" **يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ (يو3 :30).. مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ**

وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحاً مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ. إِذاً فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ."(يو3: 29).

إنكار الذات هو أكبر علاج للأنا. إن ذاتك هى التى تحاربك أكثر مما يحاربك الشيطان. بل إن الشيطان حينما يحاربك، يحاربك أولاً بهذه الذات، فإن انتصرت على ذاتك سوف تنتصر بلا شك على باقى الخطايا. وكما قال القديس يوحنا ذهبى الفم:" لا يستطيع أحد أن يضر إنساناً، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه ". حاول إذن أن تكسب القوة الألهية بعدم اعتمادك على ذاتك، بل:" **تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ.**"(أم 3: 5).

عندما ننظر إلى أيوب، ماذا كانت مشكلة أيوب الصديق، إلا هذه. **أنه** كان رجلاً باراً، ويعرف عن نفسه أنه بار. فكان باراً فى عينى نفسه. لم يستطع أن يحتمل أحاديث أصدقائه الثلاثة وقال لهم:" **كَامِلٌ أَنَا. لاَ أُبَالِي بِنَفْسِي** "(أى9 :21). وقال للرب:" **أَخَافُ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِي عَالِماً أَنَّكَ لاَ تُبَرِّئُنِي. أَنَا**

مُسْتَذْنَبٌ فَلِمَاذَا أَتْعَبُ عَبَثاً؟. وَلَوِ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ وَنَظَّفْتُ يَدَيَّ بِالأَشْنَانِ. فَإِنَّكَ فِي النَّقْعِ تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي ثِيَابِي"(أى 9 :28 –31). هكذا قال الكتاب:" **فَكَفَّ هَؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ عَنْ مُجَاوَبَةِ أَيُّوبَ لِكَوْنِهِ بَارّاً فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ.**"(أى32: 1ــ3). ولم تنته تجربة أيوب إلا بعد أن رفض هذه الذات وقال للرب:" **وَلَكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا... لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ**"(أى42 :3ــ5). إن الذات أم ولود، تلد كثرة من الخطايا.

الخطايا التى تلد الذات (الأنا).

هناك خطايا عديدة تكون سبباً فى تولد الذات ونموها، من أولى الخطايا التى تولد الذات (الأنا):

- **الكبرياء:** المهتم بالأنا يقع فيما يسمونه (عشق الذات). كمن يحب أن ينظر باستمرار أن ينظر فى مرآة ويتأمل محاسنه...!.

- **الغرور:** بهذا الشعورينقاد إلى العظمة، وإلى محبة المتكآت الأولى. ربما هذا الشعور بالذات يأتى للإنسان فى سن المراهقة عندما يشعر بإنتقاله إلى مرحلة أعلى تمنحه أهمية معينة. وقد يحدث هذا الشعور للطفل من كثرة المديح أو التشجيع، أو بسبب التفوق، أو بسبب ملكات خاصة. غير أن هذا الشعور قد لا تكون له خطورة عند الطفل، ولكنه غالباً ما ينحرف عند الكبار. فى كل هذا يكون المهتم بذاته بعيدا كل البعد عن التواضع.
- **خطايا الغيرة والحسد:** فالشخص فى هذه الخطية يريد أن يصل كل شئ إليه هو، المديح، المال، الإعجاب، النجاح، التفوق، بل وكل الإهتمام. فإذا مدحوا شخص غيره، تتعب نفسه جداً ويتضايق، كما لو كان ذلك الغير الذى مدحوه قد اغتصب منه حقاً من حقوقه الخاصة.

هكذا كانت الذات، أو الأنا سبباً لصراعات كثيرة، سجلها لنا الكتاب المقدس:

▪ بسبب الأنا قام قايين على أخيه هابيل وقتله، لأن هابيل كان أبرمنه. وقد استجاب الله لهابيل، وقبل منه محرقته (تك4:).

▪ بسبب الأنا كان الخلاف بين إبراهيم ولوط وقال عنهما الكتاب:" **وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعاً**"(تك 13 :6). **فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ.فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ:" لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالاً فَأَنَا يَمِيناً وَإِنْ يَمِيناً فَأَنَا شِمَالاً**"(تك 13 :7 –9).

▪ بسبب الأنا قامت عداوة بين يعقوب وعيسو وهما شقيقان. يعقوب قال فى قلبه: أنا الذى أخذ البكورية بدلا من أخى. وانتهز فرصة جوع أخيه وإعيائه واشترى منه البكورية بأكلة عدس(تك25 :29 –34). وعيسو أيضاً من أجل انتقامه لذاته يقول فى قلبه:" **قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي** "(تك 27 : 41).

▪ بسبب الأنا وجد صراعاً بين شقيقتين هما ليئة وراحيل. كل منهما تريد أن تكسب الرجل، فقالت: " **قَدْ صَارَعْتُ أُخْتِي مُصَارَعَاتِ اللهِ وَغَلَبْتُ**" (تك30 :8).

▪ بسبب (الأنا) أيضاً كانت فننة تغيظ حنة. لأن فننة كان لها أولاد، وضرتها حنة كانت عاقراً. فظلت فننة تغيظها حتى أبكتها ولم تستطع أن تأكل من شدة الغيظ والحزن(1صم 1 :2-7). وكان فننة تقول:" أنا التى لها أولاد، وهى ليس لها.

▪ بسبب الأنا اشتكت مرثا من أختها مريم التى تجلس عند قدمى المسيح.. وهكذا قالت له " **يَا رَبُّ أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدِمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي!**»(لو10 :40).

▪ بسبب الأنا كان شاول الملك فى عداء مع داود، وطلب أن يقتله. يقول الكتاب: "... **فَغَضِبَ شَاوُلُ جِدّاً وَسَاءَ هَذَا الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: «أَعْطَيْنَ دَاوُدَ رَبَوَاتٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَعْطَيْتَنِي الأُلُوفَ! وَبَعْدُ فَقَطْ تَبْقَى لَهُ الْمَمْلَكَةُ!**»(1 صم18 :6 -8)

▪ بسبب الذات استاء الابن الأكبرمن إكرام أبيه لأخيه التائب (الابن الأصغر)!. لقد دفعه ذلك للقول:" **هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ وَجَدْياً لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ**

لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي.! وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ "(لو15 :25-30).

إن التركيز على الذات قد يضيع المحبة بين الإخوة والأشقاء وبنفس السبب يفترق الأقارب كما حدث بين أبرام ولوط. فالمهتم بالأنا يركز على تحقيق ذاته، ولايفكر فى ملكوت الله، وإنما فى ملكوته العالمى الشخصى. إن ملكوت الله لا يشغله، إنما تشغله ذاته، الذى يركز على ذاته يريد أن الكل يحقق له ذاته. المجتمع، والكنيسة، وأب الإعتراف. وإن دخل فى أى خدمة، يبحث عن الخدمة التى تحقق له ذاته!، وإذا لم يحدث هذا يثورعلى الكنيسة، وعلى أب الإعتراف، ويبتعد عن الوسط الدينى كله، ساخطاً عليه لأنه لم يجد ذاته فيه!. بل إن كل شخص لايحقق له ذاته يبتعد عنه، حتى عن الله نفسه!!.

لعل هذا يذكرنا بالوجوديين الملحدين الذين كان كل منهم يبحث عن وجوده هو، وكيف يتمتع بهذا الوجود. ولسان حاله يقول:" **من الخير أن الله لا يوجد لكى أوجد أنا** "!!. ومعنى الوجود عنده هو أن يتمتع باللذه. فإن كانت وصيه الله تقف ضد متعته الجسدية والمادية، فالحل هو انكار وجود الله وانكار وصيته!!.

محبو الذات: كل فرحهم فى الأخذ، لا فى العطاء. هؤلاء يذكروننا بالغنى الغبى الذى قال:" **أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَّتِي وَخَيْرَاتِي. وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي...**" (لو12 :16 –19). أما العطاء فيقوم به الإنسان الذى يخرج من الاهتمام بذاته الى الاهتمام بغيره ويؤمن بأنه:" **مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ** "(أع 20: 35).

أسباب الشعور بالذات

هناك أسباب عديدة فى محاربة الإنسان بالذات، منها

١. المواهب من الأمور التى قد تسبب خطيئة الذات لدى الإنسان. فالفن مثلا بكافة أنواعه، ومن أمثله ذلك، نجد أن أحد الفنانين العباقرة فى إيطاليا أرسل له أحد المعجبين خطاباً ولم يكتب اسم الفنان على الظرف، واكتفى بعبارة (إلى أعظم فنانى إيطاليا) فأوصلوا الخطاب إلى هذا الفنان ولكنه لم يستلمه قائلاً: إنه ليس لىِّ، لو كان مرسل ويقصدنى، لكتب(إلى أعظم فنان فى العالم)!!.

لكن ليس كل أصحاب المواهب محاربين بالشعور بالذات. فما أجمل أن يجمع البعض بين المواهب والاتضاع مثل القديس بولس الرسول الذى كانت له مواهب عديدة جداً وكان يقول: أنا .....من أنا ؟! ولكنها نعمة الله العاملة معى (1كو 1 :10)

٢. قد يتسبب الشعور بالذات من جهة الأصل أو الغنى أو المركز

٣. قد يشعر الإنسان بذاته بسبب الذكاء وبسبب النجاح فالنجاح يعطى شعوراً بالذات وبخاصة إن كان نجاحاً مستمراً:" وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ." (مز1: 3). طبعاً ليس جميع الناس هكذا. فيوسف الصديق كان ناجحاً فى كل شىء. (تك39) ولم يحارب بالذات، بل كان الله هو الذى ينجحه فى كل ما يفعله.

٤. كذلك قد يكون سبباً للشعور بالذات، القوة عند الرجل والجمال عند المرأة. فداود كان يشعر بقوته حينما هدد نابال الكرملى، أنه لن يبقى له إلى الصباح بائلاً بحائط (1صم25). هكذا نرى الشعور بالذات قد يكون بسبب القوة وقد يقود أحياناً إلى الإنتقام. فنرى أيضاً شمشون الجبار، ألم يكن يشعر بذاته بسبب قوته...؟. وكذلك دليلة الم تشعر بذاتها بسبب جمالها.

٥. بسبب المديح يمكن أيضاً أن يشعر الإنسان بذاته. فهيرودس الملك وقع فى هذا الفخ، حينما قال له الشعب المتملق: ليس هذا صوت إنسان بل هذا صوت إله، **فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ لِلَّهِ فَصَارَ يَأْكُلُهُ**

الدُّودُ وَمَاتَ.(أع 12 :23). وربما بمديح الناس المستمر قد يشعر الإنسان أن ذاته معصومة وأنه فوق مستوى الوقوع فى الخطأ ويكون باستمرار:" باراً فى عينى نفسه" وحكيماً فى عينى نفسه.

تفاديا لهذا الشعور بالذات:

كان الله يسمح لبعض القديسين بضعفات: فللقديس العظيم بولس الرسول قال عن نفسه بصيغة الغائب أستحق أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَ"(2كو12 :4) لذلك نراه يقول:" وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ."(2كو12 :7). ولأنه لاقى تمجيداً كثيراً من الناس، نراه يقول للموازنه مع الذات:" بِمَجْدٍ وَهَوَانٍ. بِصِيتٍ رَدِيءٍ وَصِيتٍ حَسَنٍ . كَمُضِلِّينَ وَنَحْنُ صَادِقُونَ" (2كو6 :8).

مثال آخر هو يعقوب أبو الآباء، لقد نال البركة والبكورية وقيل له " **كُنْ سَيِّداً لإِخْوَتِكَ وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ** . " (تك 27: 29) نال البركة من أبيه إسحق والبركة والمواعيد من الله نفسه (تك28) وجاهد مع الله والناس وغلب (تك 32) وأخذ من الله اسماً جديداً. ومع ذلك كان لا بد من توازن حتى لا يقع فى الشعور بالذات. فقد سمح الله أن يظل يعقوب خائفاً ومرعوباً من أخيه عيسو، وسمح أن يخدعه خاله لابان أكثر من مرة، بل أن يخدعه بنوه أيضاً فخدعوه وقالوا له إن يوسف قد قتله وحش ردىء. وسمح الله أن يسبب له بنوه مشكله مع شعوب الأرض فى قتلهم شكيم وأهله. كما سمح له بضيقات كثيرة، حتى قال لفرعون :" **أيام غربتى على الأرض قليلة ورديئة**". ولما باركه الرب وجاهد مع الله والناس وغلب، ضربه الله على حق فخذه فصار يخمع عليه كل أيامه، حتى يشعر بضعفه فلا يرتفع.

أبونا أبراهيم أبو الآباء والأنبياء عامله الله بنفس التوازن كان من أعظم رجال الإيمان. وبحياة الإيمان ذهب

ليقدم ابنه محرقة لله (تك 22). وفى طاعته لله أيضاً ترك أهله وعشيرته وبيت أبيه، ومضى وهولا يعلم إلى أين يذهب(تك12). مع أنه نال من الله مواعيد عظيمة وقال له أباركك، وأبارك مباركيك، وتكون بركة... وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض (تك 12). إلا أن الله استبقى عند إبراهيم ضعفاً وهو الخوف، فخاف عندما نزل إلى مصر، وقال عن سارة إنها أخته. وخاف نفس الخوف حينما نزل إلى جرار وقال عن سارة أيضاً إنها أخته. وهذا الخوف كان نافعاً لأبينا إبراهيم حتى لا يشعر بذاته، هذا الذى انتصر فى حرب الملوك وأنقذ لوط وسبى سدوم (تك 14).

نفس الوضع أيضاً نجده مع القديس بطرس الرسول. هذا الذى طوبه الرب حينما قال " أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ"(مت16:16 –19). بطرس الذى وصل به الشعور بالذات إلى الحد، أنه أقوى من جميع التلاميذ فى محبة الرب. والإخلاص له قائلاً:" وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَداً(مت 26 : 33)،(مر14 :29). وقال أيضاً: " يَا رَبُّ

إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ"(لو 22: 33).

فالقديس بطرس سمح له الله بالتجربة التي أنكره فيها ثلاث مرات وهكذا: " فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرّاً.(مت 26 :75). وبعد القيامة أخرجه الرب أيضاً من دائرة الشعور بالذات وناداه باسمه العلمانى ثلاث مرات قائلاً له:" يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ..." (يو21 :15 – 17). فَحَزِنَ بُطْرُسُ لأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً : أَتُحِبُّنِي؟ (يو 21: 17). أما عبارة "أكثر من هؤلاء" فلكى يذكره بقوله:" وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَداً ". وقد ظل إنكار بطرس منخاساً فى قلبه، كلما حاربه العدو بالأنا والشعور بالذات حتى ساعة صلبه طلب أن يصلب منكس الرأس، حتى لا يكون مثل سيده.

هذا التوازن بين الشعور بالذات وواجبات الإتضاع أقامه الله أيضاً فى حياة سليمان الحكيم، الذى اختاره الله نفسه

ليبنى هيكله، والذي ظهر له مرتين، إحداهما فى جبعون، والأخرى في أورشليم. وهو الذي منحه الله حكمة من عنده حتى لم يكن مثله في حكمته في الأرض كلها، حتى أتت ملكة سبأ من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهو أيضاً الذي منحه الرب جلالاً ملوكياً لم يكن لأحد مثله (1مل 3-8). كما أن سليمان أيضاً هو الذي نال من الغنى ومتعة العالم ما لم ينله ملك من قبل. فهوالذي قال:" فَعَظُمْتُ وَازْدَدْتُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلِي فِي أُورُشَلِيمَ وَبَقِيَتْ أَيْضاً حِكْمَتِي مَعِي.". وهوالذى اتخذ لنفسه مغنيين ومغنيات، وكل تنعمات البشر سيدة وسيدات وقال:" وَمَهْمَا اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا"(جا2: 9ــ10).

سليمان العظيم هذا سمح له الله بنقطة ضعف وهى محبته للنساء وخضوعه لتأثيرهن، فأفقدته حكمته وكماله. هذا السماح كان بتخلى النعمة عنه قليلاً بسبب إندماجه فى متعة الجسد وهكذا قيل عنه:" وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ

الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ "(1مل11: 4). واستحق سليمان عقوبة من الله، غير أنه استفاد من تأديب الله له وتاب.

عزيزى القارىء: ليت كل إنسان يخف من الشعور بالذات، وليتذكر قول الرب:" **من أراد أن يتبعنى فلينكر ذاته** ...".

جمهرة الخطايا التى تلدها الذات

* مشكلة الإنسان الأولى والكبرى، إن لم تكن مشكلته الوحيدة هى الذات. فالإنسان المنتصر داخلياً على ذاته هو إنسان منتصرعلى طول الخط والإنسان المهزوم من نفسه، يمكن أن ينهزم أمام أى شىء. فما أجمل **قول القديس يوحنا ذهبي الفم**:" لا يستطيع أحد أن يؤذى إنساناً ما لم يؤذ هذا الإنسان نفسه ". وقد **صدق مار إسحق** حينما قال:" إن الذى يصطلح مع نفسه تصطلح معه السماء والأرض. وعبارة: "يصطلح مع نفسه" تعنى أنه لا يكون خصماً لها يبعدها عن الله وعن الخير.

- **من الخطايا المشهورة محاولة تكبير الذات.**

تكبير الذات يكون على نوعين: إما تكبيرها فى شخصها وإما تكبيرها بصفة مقارنة من حيث مقارنتها بالغير، فتكون أكبر من غيرها وأفضل أو أقوى وأعظم أو أجمل أو أذكى. وقد وقع الشيطان في الأمرين معاً. فمن جهة

تكبير ذاته من جهة شخصها، قال:" أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ ... أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ". ومن الناحية المقارنة قال:" أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ... أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ" (أش14: 13ــ14)

بنفس الأسلوب حارب الشيطان الإنسان الأول، بتكبير الذات بقوله لآدم وحواء:" **وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ**" (تك 3 :5). وسقط الإنسان أيضا باللذة التي أراد أن يوفرها للذات إذ رأى:" **أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ**"(تك 3 :6).

- **من الخطايا التي تحارب بها الذات، اللذة**

اللذة تحارب الجسد والحواس بالشهوة وفى ذلك قال القديس يوحنا الرسول:" **لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ ... وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ**"(1يو2: 16ــ17). وهنا أضاف إلى شهوات الجسد،

التى تلتذ بها الذات شهوة للنفس هى تعظم المعيشة. الإنسان المحب لذاته يسعى إلى منحها اللذة بكل صورها، فى الحس، فى اللمس، فى النظر، فى الأكل والشرب، فى ملاذ الجسد. إنه يكون باستمرار متمركزاً حول ذاته.

- **مدح الذات وتمجيدها**

هذا الإنسان الذي يمدح ذاته كثيراً ما يكون حساساً جداً من جهة كرامته ومن جهة حقوقه. أقل شيء يتعبه أو يجرحه أقل نصيحة أوعتاب أو لوم يخدش شعوره... ولا يحتمله، وقد يلجأ إلى الإنطواء على ذاته.

إنه يحب نفسه محبة غير حكيمة، وغير سليمة ينطبق عليه قول السيد الرب:" من وجد نفسه يضيعها". ففيما هو يريد أن يبنى نفسه نراه يهدمها، وفيما يريد أن يعظمها، يحطمها!!. وهو فى كل ذلك يريد أن يبنى نفسه من الخارج بمظهرية خاطئة، وهو لا يعلم أن :" كل مجد ابنة الملك من داخل...".

مثل هذا الانسان في شعوره بذاته وثقته الزائدة بها، يعتمد دائماً على نفسه، بينما الإنسان الروحي يعتمد على النعمة التي تأتيه من فوق، وفى كل شيء يلجأ إلى الصلاة ليشرك الله معه. واضعاً أمامه قول الكتاب:" **الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ** "(خر 14: 14). ومعنى عبارة (تصمتون) تعنى أنكم لا تعتمدون على ذواتكم. فالإنسان المعتمد على ذاته يكثر العمل، أما المعتمد على الله فهو يكثر من الصلاة المعتمد على ذاته إن نجح فإنه يفتخر أما المعتمد على الله فإنه إذا نجح يشكر ويمجده.

المعتمد على ذاته ينسى الله ويستخدم مقدراته وإمكانياته وحيله وسياسته وأساليبه وقوته، أما المعتمد على الله فيجعل الله الكل فى الكل، ويرى أن قدراته هو، إن لم يعمل الله فيها فليست شيئاً، لذلك يقول المزمور:" **إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ.**" (مز127 :1) وقد قال السيد الرب:" **لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً.**(يو15: 5)

كما إن الإنسان المُعتد بذاته هو بعيد كل البعد عن الطاعة والمشورة، لأنه لا يطيع إلا فكره ولا يثق إلا برأيه. فهو حكيم في عيني ذاته يرى أنه يعرف كل شيء: فلماذا يلجأ إلى الآباء الروحيين؟! ولماذا يستشير؟! وإن جلس إلى أب له في الاعتراف فإنما لكي يأخذ منه مجرد الموافقة على ما قد قرره في ذهنه!. لذلك فالإنسان المعتد بذاته يكون صَلب الرأي عنيداً. بل إن المعتد بذاته يكون عنيداً حتى في علاقته مع الله نفسه وهكذا لا يستطيع أن يحيا حياة التسليم.

الإنسان المعتد بذاته لا يمكن أن يكون متواضعاً.

فالمعتد بذاته يكون باستمرار باراً فى عيني نفسه، إنه لا يدين نفسه أبداً ولا يعترف بأنه قد أخطأ. الذى يحارب بالأنا يميل أن يأخذ أكثر مما يعطى، لأنه يبنى ذاته بتوالى الأخذ، وبسياسة الجمع. مثال ذلك الرجل الغنى الغبى " **أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَّتِي وَخَيْرَاتِي . وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ**

كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي . (لو 12: 16-19). إنه لم يفكر فى أبديته ، بل فى تمتع ذاته على الأرض.

هكذا يمكن أن للإنسان المهتم بذاته، يؤدى به الأمر إلى البخل، لأنه يحب أن تزداد أمواله لكي تتمتع بها الذات. ويصبح صعباً عليه أن يعطى. وقد ضرب لنا مثال الشاب الغنى" **فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِيناً لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ.**(مت19 :22). أيضاً قصة ذلك الغنى الذي لم يعط لعازر المسكين من الفتات الساقط من مائدته(لو 16: 21).

المحارب بالذات لا يقول فقط (أنا)، إنما يقول أيضاً مالى، وممتلكاتي، ومشروعاتى. يفتخر بأن ماله يزيد يوماً بعد يوم، ويشعر إن دفع العشور ينقصه، كذلك دفع البكور!. فى ذلك يقول الوحي الإلهي:" سلبتمونى، يقول الرب" (ملا 3 : 8). وقد قال السيد الرب " **مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ** "(أع 20: 35). لأن فى العطاء محبة الغير وليس

محبة الذات. كما حدث مع الأرملة التى دفعت من أعوازها (لو21:21). من جهة العطاء نقصد العطاء بصفة عامة وليس العطاء فقط من المال يمكن أن نعطى من جهة الوقت والجهد والمشاعر.

خطايا أخرى كثيرة سببها الأنا منها:

الإنسان المنشغل باستمرار بذاته ليس لديه وقت للاهتمام بغيره، مثل هذا الإنسان يكون بعيداً جداً عن الخدمة وروحها. **بل** وإن دخل الخدمة فإنه لايخدم بهدف روحى من أجل بناء الملكوت ومنفعة الآخرين، بل يتخذ الخدمة وسيلة لبناء ذاته ومجالاً لظهوره وممارسة ما يهواه من سلطة وقيادة..!. وإن دخلت الذات فى الخدمة تضيع نفسها وتضيع الخدمة. وقد تكون مجالا للسلطة والسيطرة، فيقول: لا يتم شىء الا بمشورتى وفكرى. القرار هو قرارى، والتدبير هو تدبيرى. ولا مانع من أن يتخلص من الآخرين لكى ينفرد بالعمل تخطيطاً وتنفيذاً. هذا من جهة الإدارة في الخدمة.

على أن الذات قد تأخذ مجالاً آخر هو، الفكر الخاص في التعليم العام للكنيسة. فيكون منهجه خاص فى تفسير الكتاب المقدس. ومن مثل هؤلاء الذاتيين ظهرت البدع.

من سيطرة الأنا وعنادها تتولد الانقسامات، وتسبب الخلافات العائلية. وبسبب (الأنا) يبنى الإنسان راحته على تعب غيره وبهذا يفقد محبته للآخرين، ومحبه الآخرين له. وقد يقلل من شأن غيره لكى يكون باستمرار هو الأفضل.

إن الإنسان المتمركز حول ذاته يكون دائماً صعب التعامل، حتى فى التعامل مع الله لا يكون سهلاً. أولاً: لأنه لا يبحث عن ملكوت الله، وإنما عن ملكوته هوالذاتى. ولايريد مشيئة الله بل مشيئته هو. حتى فى صلاته لا يطلب إرشاد الله له إنما يفرض على الله طلباته. فالإنسان الواثق بذاته يقيم نفسه رقيباً على أعمال الله معه. وإن كانت معاملته هكذا مع الله، فكم تكون معاملته مع أب الأعتراف؟!.

الإنسان المتمركز حول ذاته، إن عاتب أحد يكون عتابه قاسياً، لايهتم بمشاعر من يعاتبه، إنما يريد أن ينفس عن الإحساس بالضيق الموجود فى داخله. لذلك فإن غضبه قد يكون شديداً، وربما يتحول إلى حقد، وقد لا يكتفى بالغضب، إنما يلجأ إلى الانتقام.

المُحارب بالأنا من الصعب أن يتعاون مع غيره. فأحياناً لا يكون الشخص كبيراً، ولكنه بأحلام اليقظة يتخيل لنفسه صوراً من الكبر والعظمة. لذلك فهو من السهل أن يصبح عدوانياً.، وفى سبيل الدفاع عن الذات لا مانع من الكذب والرياء.

أيضاً الإنسان المحب لذاته قد يصبح لحوحاً يتعب غيره إنه يريد أن ينفذ فكره أورغبته بكافة الطرق، وبكل سرعة. لذلك يلجأ إلى الإلحاح الشديد الذى يتعب أعصاب غيره. والذات أو(الأنا) تشمل الأنانية بكل تفاصيلها " مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا

إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ."(يو12:25). ويقصد بذلك: من يحب نفسه محبة خاطئة يهلكها. أما عبارة " وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ "، فالمقصود بها من لا يعطى نفسه كل ما تريد بل تكون عنده فضيلة " ضبط النفس" وقد تكررت عبارة " يُبْغِضُ نَفْسَهُ ". ويقول السيد المسيح أيضاً: "من يأتي إليّ، ولا يبغض حتى نفسه فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً..."(لو 14: 26). إذن هذا شرط للتلمذة للرب يسوع.

تقول الوصية الإلهية:" **تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**"(مت 22 :39). وأيضاً:" **وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ** "(مت 19 :19). فكيف للإنسان أن يحب نفسه طبقاً للوصية؟! **وما المحبة الحقيقية للنفس؟!.**

المحبة الحقيقية للنفس هي أن تحفظ لها طهارتها ونقاوتها، ولاتسمح لها أبداً أن تنفصل عن الله بالخطية. بل تخضعها للوصية التى تقول:" تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ".(مت 22 : 37). كما أن

المحبة الحقيقية للنفس هي تدريباً على النمو الروحي، حتى تصل إلى حياة القداسة والكمال حسب وصية الرب:" فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ"(مت5 :48). غير أن البعض في بنائهم لأنفسهم يلجأون إلى طرق خاطئة تضيعهم. فأول طريقة خاطئة فى محبة النفس هي إعطاؤها لذتها ومتعتها:" لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ (1يو2 :16). هذه المحبة الجسدانية يمكن أن تقود إلى الملاذ التي وقع فيها سليمان حينما قال:" مَهْمَا اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا "(جا2 :10). شهوة القنية، والمال، والرفاهية، والنساء... إلخ. إلى أن عرف أخيراً أن كل هذا باطل وقبض الريح.

المحبة الجسدانية للنفس قد تمنع الإنسان عن الصوم، وقد تمنعه أيضاً عن السهر، وعن طهارة الجسد. فالذى يمتع ذاته بلذة الجسد والحواس، إنما هو يهلكها، وينسى أن:" الْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ." (1 يو 2 :17). وينسى أيضاً قصة الغنى الغبى الذى ظن فى محبته لنفسه أنه يسعدها بخيرات كثيرة

لسنين عديدة، قائلاً لها:" اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي ..." (لو12 : 19). ومثله أيضاً غنى لعازر الذى أستوفى خيراته على الأرض (لو16: 25).

هناك من لا يلذذ نفسه بالحواس، إنما بالفكر.

مثل هذا الإنسان يكفيه أن يغمض عينيه، ويؤلف حكايات وقصصاً وخيالات، وأحلام يقظة، ويلتذذ بكل هذا ويقول فى نفسه: **سوف أصير وأكون وأعمل وأتمتع** ...، ويمكن أن يغرق فى هذا الفكر بالساعات. لذلك نجد أن المحرومين فى الحياة العملية، يعوضون أنفسهم بالفكر والخيال. ويدخلون فى لذة أحلام اليقظة. فالخيال لون من المتعة، أوسع بكثير من متعة الحواس.

هناك نوع من الذات، تكون حالة مرضية، التى تسمى بالبارانويا، أى جنون العظمه. مثل أشخاص يظنون فى محبة الذات، أنهم يمتعونها بالعظمة. لدينا مثال هو الشيطان الذي قال:" أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ . أَصِيرُ

مِثْلَ الْعَلِيِّ " (أش14 : 14). وبنفس العظمة حارب أبوينا الأولين قائلاً لهما:" تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّر " (تك 3 : 5). أيضاً أولئك الذين أرادوا بناء برج بابل قائلين:" هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجاً رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْماً لِئَلَّا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ "(تك11 : 4). فكل هؤلاء الذين أحبوا أنفسهم محبة خاطئة – أحبوا لأنفسهم بالعظمة – فأهلكوها ، لأن كل ما قصدوه، هو العظمة العالمية، وليس العظمة الروحية.

إن الإنسان العظيم روحياً يصل إليها بالاتضاع:" لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ "(لو 18 :14) فالذي يحب نفسه محبة حقيقية، عليه أن يهرب من الرفعة لأن:" فلنَّ لِرَبِّ الْجُنُودِ يَوْماً عَلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَعَالٍ وَعَلَى كُلِّ مُرْتَفِعٍ فَيُوضَعُ ... فَيُخْفَضُ تَشَامُخُ الإِنْسَانِ وَتُوضَعُ رِفْعَةُ النَّاسِ وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ"(أش2 :12، 17). مثال ذلك هيرودس الملك الذى بسبب العظمة ضربه ملاك الرب:" هَذَا صَوْتُ إِلَهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ ! فَفِي

الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ لِلَّهِ فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ.(أع12:22ــ23).

الذى يحب لنفسه العظمة، قد يدخل في حروب ومنافسات تضيعه. مثال ذلك: أبشالوم بن داود، الذى أراد أن يرفع نفسه بأن يأخذ عرش أبيه فى حياته. فقادته هذه الشهوة إلى أن يدخل فى حرب ضد أبيه، وينجس سراريه، وكانت النتيجة أنه مات خاطئاً وهالكاً(2 صم 16 :15 –20).

عكس ذلك نجد يوحنا المعمدان الذى اتضع، فارتفع. كان باستمرار يقول: وَلَكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ"(مت3 :11). ونادى باتضاع عن رسالته، قائلاً:" أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ وَلَكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ . هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ"(لو3 :16).وقال أيضاً:" هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قُدَّامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ"(يو1: 27). ويعلن من داخله بكل الحب أنه:" يَنْبَغِي

أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ. الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ والَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ . الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ." (يو 3 :30ــ 31). أمام كل هذا يشهد عنه الوحى الإلهى قائلاً: "لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ"(مت11 :11)

ما أجمل ما قيل عن الله فى القداس الإلهى، إنه: "**الساكن في الأعالى، والناظر إلى المتواضعات**" والكائنات المتواضعة هى الكائنات الصغيرة (غير الإنسان) التى لا تعرف الذات (الأنا).

الذات ومظاهر الزعامة: هناك بعض الأشخاص يحاولون أن يبنوا ذواتهم بمظهر من الزعامة أوالبطولة فى نظرهم، فيستخدمون أسلوب الصراع والعراك. تجد مثل هؤلاء كشعلة من نار للنقد والهدم والتحطيم!!. إنما لا تسمع من أفواههم سوى عبارة هذا خطأ!. ولذتهم تنحصر فى انتقاد الكبار. إنه

الطبع الذى يسمونه (الطبع النارى) دائم الهجوم مثل التلميذ المشاكس فى الفصل. والعجيب إن الهدم أسهل وأسرع من البناء!!، وكما يقول المثل العامى" البئر الذى يحفره العاقل فى سنة، يردمه الغبى فى يوم"!.

الذات ومنحها الحرية: نوع آخر من محبى ذواتهم، يحبون أنفسهم بمنحها الحرية فى كل شىء، فيقول: أنا حر افعل ما أشاء..! وتهلكه كلمة (أنا). إن الحرية الحقيقية هى حرية من الداخل، وليست فى التصرفات الخارجية.

الوجوديون ظنوا أنهم يجدون أنفسهم بالتحرر من الله ووصاياه!. وأصبح شعارهم هو:"من الخير أن الله لا يوجد لكى أوجد أنا "!. حقاً إن هذه (الأنا) هى التى ضيعتهم ومن أحب نفسه يهلكها.

كذلك قصة الابن الضال (لو 15) الذى رأى أن متعة الأنا وحرية الأنا، هى فى تركة لبيت أبيه وسيره حسب هواه

وانتهى الأمر بقوله:" **كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعاً!**"(لو15: 17).

هناك فرق واسع جداً بين الحرية والتسيب. فالذين ظنوا أن يحققوا ذواتهم بالحرية، أهلكوها بالاستخدام السيء للحرية. ومن أخطر أنواع الحرية، الحرية فى الفكر الدينى.

إن كثيرين قادتهم هذه الحرية إلى الإلحاد، أو إلى إنشاء مذاهب دينية خاصة داخل الكنيسة!. أو إن حريتهم في تفسير الكتاب المقدس أوصلتهم إلى الهرطقة أو إلى البدعة، وبخاصة حينما تتدخل (الأنا). هناك طوائف كثيرة سبب إنشقاقها عن جسد الكنيسة، هو بسبب(الأنا). فهم لا يخضعون للكتاب المقدس، إنما يريدون إخضاع الكتاب لفكرهم!. كل واحد يفسر الكتاب حسب مزاجه الخاص، وتختلف الأمزجة وبذلك تختلف التفسيرات وتنشأ الطوائف المختلفة !. كل من مثل هؤلاء يشبع ذاته بأنه قائد وصاحب فكر جديد.

الذات و الإعجاب بالنفس: إنسان آخر يحب نفسه فيقع فى الإعجاب بالنفس. وهكذا يصاب بالغرور، ويهلكه غروره هذا. فقايين تأذى من قبول الله لذبيحة هابيل (تك 4). فقتله مع أن هابيل لم يؤذه فى شىء. إن هؤلاء الذين يقعون فى حب الذات وفى مديحها وفى الغرور بالنفس، إنما يهلكون أنفسهم بالكبرياء.

الذات والمجد الخارجى: هناك أشخاص آخرون يحبون أن يبنوا أنفسهم بمجد خارجى. بالمركز والغنى والشهرة وتعظيم المعيشة. فقد قيل عن يوحنا المعمدان أنه كان عظيماً أمام الله:" لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ"(لو1: 15). ولعل عظمته هذه إنه كان:" مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ "(لو 1 :15). أما العظمة الخارجية فهى لا تبنى الإنسان. فالمظاهر الخارجية لا تبنى النفس بل تبنها ثمار الروح:" وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ : مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ.وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ."(غل5: 22ــ23) . لذلك لاتطلب

مجداً من الناس، فقد قال السيد المسيح:"مَجْداً مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ"(يو5 : 41). فما المجد الذى طلبه الرب؟. قال:" مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ." (يو17 : 5).

كيف تتخلص من(الأنا) الذات؟

1- قهر الذات: الصوم والعفة يدخلان فى قهر الذات فقد تشتهى النفس حب الظهور وأن تعلن عن ذاتها وتسعى وراء العظمة. وفى هذا كله ينبغى أن تقاومها، إن مالت نفسك، أو مال جسدك إلى متع هذا العالم امنعهما بشدة، وليس هذا قسوة عليهما، إنما ضماناً لأبديتك لأن الذى يدلل نفسه هنا يهلكها والذي يتراخى فى ضبط ذاته، تقوى ذاته عليه وتتمرد على سلوكه الروحى. بعكس الذى يدرب ذاته ويروضها فى دروب الرب. إن الوسيلة التى تبنى بها ذاتك هى أن تقهر ذاتك وتغلبها لأنك بقهر الذات، وتغلبك عليها تصل إلى المجد الحقيقى للذات:" **كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا**"(مز45)

عزيزى القارىء: ثق أنه فى قهر الذات لذة روحية لا تعادلها كل ملاذ الجسد. ومن هنا كان الزهد من وسائل علاج الأنا. اقهر ذاتك فى أمور العالم لأن العالم يبيد وشهوته معه(1يو 2 :17). فإن أرادت نفسك أن تنتصر على الغير اقهرها،

فالانتصار الحقيقى هو الانتصار على الذات. درب نفسك بدلا من أن تنتصر على الآخرين، إكسبهم لأن:" **رَابِحُ النُّفُوسِ حَكِيمٌ**"(أم 11 :30).

2- محبة الآخرين وخدمتهم: يجب أن يعود الإنسان نفسه الأنتقال من مجال الأخذ إلى مجال العطاء. وإن كان من أخطاء الأنا البخل فالعلاج هو العطاء.

3- التواضع : يقول الكتاب المقدس: " مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ."(رو12 :10)، ويقول أيضاً:" **اذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِماً لِلْكُلِّ**"(مر9 :35). وآخر الكل المقصود به المتكأ الأخير، أى يكون الأخير، لا من حيث المكان بل من حيث المكانة. فلا تعط لنفسك كرامة وتفرضها على الآخرين. وفى معاملاتك مع الناس كن نسيماً لا عاصفة.؟. وفى اتضاعك ، قل أنا. من أنا ؟ أنا مجرد تراب ورماد

4- إدانه الذات:

الإنسان المصاب بالأنا، يكون باستمرار باراً فى عينى نفسه. فالعلاج إذن أن يحاسب الإنسان نفسه بغير تحيز. يدينها فى إتضاع، ولا يجلب اللوم على غيرها، كما فعل أبونا آدم وأمنا حواء (تك 3).

فى إحدى المرات زار البابا ثاوفيلس منطقة القلالى، وسأل الأب المرشد فى ذلك الجبل عن الفضائل التى أتقنوها، فأجابه:" صدقنى يا أبى، لا يوجد أفضل من أن يأتى الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ".

ليتنا عزيزى القارىء: ندين أنفسنا هنا على الأرض، حتى ننجو من الدينونة فى اليوم الأخير. لقد صدق **القديس الأنبا أنطونيوس حينما قال:**" إن دنا أنفسنا، رضى الديان عنا. وإن ذكرنا خطايانا، ينساها لنا الله. وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله". ما أجمل **قول القديس مكاريوس** " احكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك".

5- ضع السيد المسيح كمثال أمامك: إن السيد المسيح الذى بارك طبيعتنا فيه صحح مفهوم الكبرياء الذى وقع فيه أدم الإنسان الأول. فيقول الكتاب المقدس:" **لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ**"(فى2: 7). **فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ** (لو9 :58). ويقول:" **وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ** "(أش53 :12،7).

6- تدريب الميل الثانى: يقول عنه الكتاب المقدس:" **مَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ**" (مت5 :41). ويقول أيضاً:" **وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً.**" (مت5: 40). كما يقول السيد المسيح:" **مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً.**"(مت5 :39). وكأن الله يريد أن يقول: كن مظلوماً لا ظالماً. وكن مصلوباً لا صالباً. لا تنتقم لنفسك لا تجعل ذاتك تتدخل، لتنال حقوقك أو لتنتقم، لأن الكتاب المقدس يقول:" **لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ** "(رو12 :19). فالمحبة:"... **لاَ تَطْلُبُ مَا**

لِنَفْسِهَا"(1كو13 :5). ويقول الوحى الإلهى:" **فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ**..."(غل2 :20).

7- التمثل بالقديسين: الآباء الأنبياء والرسل والقديسون، استخدموا كلمة(أنا) ولكن فى مجال الاتضاع، وانسحاق النفس. فإبراهيم أبو الآباء الذى باركه الله وجعله بركة وقال له:" **وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ**"(تك12 :2ــ3)، نراه فى مجال كلمة(أنا) يقول:" **أَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ.**"(تك 18 :27).

داود النبى الذى كانت له داله كبيرة عند الله وقد صنع الله به نصراً عظيماً على جليات(1صم17). نراه بعد ذلك لما عرضوا عليه مصاهرة الملك شاول يقول لهم: "**هَلْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ فِي أَعْيُنِكُمْ مُصَاهَرَةُ الْمَلِكِ وَأَنَا رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَحَقِيرٌ**؟."(1صم 18 :23). كأنه يقول:" **ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي ضَعِيفٌ**"(مز 6 :2). ويوحنا المعمدان مع إنه كان أعظم من ولدته النساء(مت 11 :11)، يقول للرب:" **أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!**"(مت3 : 14). ويقول للناس

"**يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ..**"(مت3 :11)، (لو3 :16). وبولس الرسول العظيم الذى أختطف إلى السماء الثالثة(2كو 12 :2) قال عن ظهور السيد المسيح للرسل بعد القيامة:"... **وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا. لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً لأَنْ أُدْعَى رَسُولاً لأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ اللهِ**"(1كو15 :8ــ 9). **كما يقول** القديس بولس الرسول:" **أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً. وَلَكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ**.(1تى1 : 13). فى تمجيد الذات، أهتم الآباء بتمجيدها فى السماء لا على الأرض.

8- عبارة لاَ أَنَا (غل 12 :20)، هى عكس الذات(الأنا) الــ Ego. فى ذلك يقول القديس بولس الرسول:" وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلَكِنْ لاَ أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي."(1كو 15 :10). ويقول أيضاً:" مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. (غل2 :20). ويقول داود النبى:" لَيْسَ لَنَا

يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا لَكِنْ لاِسْمِكَ أَعْطِ مَجْداً (مز 115 :1). والقديس يوحنا المعمدان يقول:" يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ."(يو3 :30). ويقول أيضاً:" وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحاً مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ . إِذاً فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ..."(يو3 :29). ويقول القديس بولس:" مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ"(رو12 :10). لذلك قال السيد المسيح:" مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً .وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْداً."(مت20:26ــ27).

إنكار الذات: من أمثلة هولاء القديسين الذين عاشوا أنكار الذات، القديس بولس الرسول الذى قال:" مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ (غل2 :20). كما يقول أيضاً:" فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ."(رو 9 :3). لقد عمل بقول السيد المسيح: " إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي "(مت16 :24)، (مر8 :34). كما

نجد القديس موسى النبى فى أنكار ذاته يقول:" وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ».(خر32 :32).

السيد المسيح نفسه أعطانا نفسه مثالاً، فقد قيل عنه:" لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ.وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ..."(فى2 :7ــ8). كما قيل عنه:" لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ».(مت 26 :39). كذلك:" لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي"(يو5 :30) وكرر ذلك فى (يو 6 :38).

بمبدأ " لا أنا" بدأ الله دعوته لأبينا إبراهيم أبى الآباء والأنبياء قائلاً: " أذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ."(تك12 :1). ويقول القديس بولس عنه:" وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي"(عب 11 :8). لقد وضع أبونا إبراهيم أمامه قول إرميا النبى القائل:" عَرَفْتُ يَا

رَبٌّ أَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ طَرِيقُهُ. لَيْسَ لإِنْسَانٍ يَمْشِي أَنْ يَهْدِيَ خَطَوَاتِهِ"(إر10 :23). بهذا الفكر أخذ أبونا إبراهيم ابنه وحيده ليقدمه محرقة للرب (تك22).

عبارة (لا أنا) اختبرها موسى النبى أيضاً. فقد:" أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، مُفَضِّلاً بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِالْخَطِيَّةِ، حَاسِباً عَارَ الْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ "(عب11 :24 –26)

كما أن عبارة (لا انا) اختبرها تلاميذ الرب ورسله. تركوا السفن والشباك، والأهل والأسرة، وتبعوا الرب:" فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا الشِّبَاكَ وَتَبِعَاهُ."(مت4: 20). ومتى ترك مكان الجباية وتبعه:" رَأَى لاَوِيَ بْنَ حَلْفَى جَالِساً عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ. (مر2: 14). كذلك شاول الطرسوسى ترك السلطة وفريسيته وتبعه. لقد عبر القديس بطرس الرسول عن هذا كله ، حينما قال للرب:" هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ"(مت 19: 27). لقد كان كلُ منهم

يقول عبارة:" لا أنا، بل المسيح"، لأهلى، ولا بيتى، ولا سفينتى، ولا وظيفتى، بل المسيح وحده، هو الذى من أجله أترك كل شئ. فى ذلك يعبرالقديس بولس الرسول:" لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ. وَأُوجَدَ فِيهِ،..."(فى3 :7- 9).

فى مجال الخدمة:

يجب على كل خادم فى مجال خدمتة يقول:" لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا لَكِنْ لاِسْمِكَ أَعْطِ مَجْداً "(مز 115 :1). وأمامنا مثال لخادم عظيم هو القديس يوحنا المعمدان ، الذى كان يختفى ليظهر الرب، فيقول:" يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ "(يو3 :30). ويقول أيضاً:" لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ بَلْ إِنِّي مُرْسَلٌ أَمَامَهُ مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحاً مِنْ أَجْلِ صَوْتِ

الْعَرِيسِ. إِذاً فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ... الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ "(يو 3 :28 –31). هذا الذى حينما كانوا يمدحونه، أو يظنون أنه المسيح، كان يجيبهم:" لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ... وَلَكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ .. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قُدَّامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ" (يو1: 20، 26، 27). إنه ما أسهل أن يربط الخادم المخدومين بشخصه وليس بالله. كما سار أتباع آريوس وراءه فى هرطقته. إنه شتان بين عظة يخرج منها السامعون قائلين:" هذا واعظ عَلاّمة". وبين عظة يخرج منها السامعون قائلين : نريد أن نتوب، وأن نصطلح مع الله.

هناك أمران تنجح بهما الخدمة البعيدة عن الذات، وهما:

١. **يكون الله هو الهدف ، وهو الوسيلة .**
٢. **لا تكون الذات هدفاً ولا وسيلة**

إذ تدخلت الذات فى الخدمة، قد يحدث فيها انقسام بين الخدام، ويصبح يردد:" **أَنَا لِبُولُسَ» وَآخَرُ: «أَنَا لأَبُلُّوسَ»** (1كو3 :3 ، 4).

فى مجال الصلاة:

بمبدأ (لا أنا) علمنا الرب أن نطلب أولاً ملكوت الله وبره " قائلاً لنا عن الطلبات المادية " فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا . لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ " (مت 6 :32ــ33). لذلك نصلى:" **لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ . لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ...**" (مت 6: 9ــ10).

كما أن هناك صلوات أخرى لا طلب شخصى فيها على الطلاق. بل هى تأمل فى صفات الله الجميله. مثل تسبحة الثلاثة تقديسات:" قدوس الله، قدوس القوى ، قدوس الحى الذى لا يموت...". كما تلى صلوات التسبيح ، صلوات

الانسحاق، التى نطلب فيها حقوق الله منا، وتعتذر الذات عن أخطائها إليه.

مبدأ" **لا أنا**" **يعنى** " **انس نفسك**"، وتذكر الله وحده قل لاَ أَنَا بَلْ نِعْمَةُ الله الَّتِي مَعِي." (1كو15: 10). كما نقول:" وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ" (1كو 2: 16). وأيضاً " فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ " (غل 2: 20). كما أن الإنسان الروحى يردد عبارة:" وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ." (أم 3: 5). بل يقول:" تَوَّبْنِي فَأَتُوبَ لأَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ إِلَهِي" (أر31 : 18).

يجب أن يقول المؤمن ،" **ذاتى أنا**" قد نسيتها منذ زمان، حينما عشت فى حياة التسليم لك، وأنا أقول:" **لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.... لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً.**(فى 1: 21، 23).

عزيزى القارىء: ثق أنك بعبارة (**لا أنا**) يمكنك أن تدخل إلى الملكوت. فالكتاب يقول:" **وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً**»." (يع 4: 6). وعندما تقول:" **لا أنا**" ، سوف تقدم

غيرك على نفسك فى الكرامة حسب الوصية:" **مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ.**(رو 12: 10).

إنك عندما تقول:" **لا أنا**" سوف لا تجامل نفسك، ولا تبررها، ولا تلتمس لها الأعذار. بل على العكس تبكتها وتؤدبها، وتقبل أيضاً تأديب الرب ولا تتذمر:

" **لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ** "

(عب 12: 6).